

العنوان:	صورة الصراع العربي الاسرائيلي في الكتب الدراسية البريطانية : دراسة في تحليل الخطاب اللغوى - التربوى
المصدر:	العلوم التربوية
الناشر:	جامعة القاهرة - كلية الدراسات العليا للتربية
المؤلف الرئيسي:	العقيلي، عبدالمحسن بن سالم
المجلد/العدد:	مج 20, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2012
الشهر:	أبريل
الصفحات:	77 - 113
رقم MD:	186220
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	العولمة، الصراع العربي الاسرائيلي، المناهج الدراسية، بريطانيا، السياسات التربوية، الوعى الثقافى، القضية الفلسطينية، الخطاب اللغوى المدرسى، العلوم الاجتماعية، التنشئة التربوية، العالم الاسلامى، الحضارة الاسلامية، الشريعة الاسلامية
رابط:	https://search.mandumah.com/Record/186220

صورة الصراع العربي الإسرائيلي

في الكتب الدراسية البريطانية:

(دراسة في تحليل الخطاب اللغوي - التربوي)

د/ عبد المحسن بن سالم العقيلي*

خلفية الدراسة:

تحرص الدول جميعها على بناء مناهجها وكتبها الدراسية وفقاً للمنطلقات الفلسفية والدينية والفكرية التي تُبنى عليها مجتمعاتها؛ سعياً نحو تكوين مواطنين صالحين مخلصين لأمتهم وثقافتهم؛ ذلك أنه مهما يكن من أمر، فإن لكل مجتمع معتقداته وثوابته وقيمه التي يصدر عنها، ويؤمن بها، ويسعى إلى التمسك بها والانطلاق منها. وتبدو أهمية الكتاب المدرسي في أنه من أهم مصادر تشكيل الوعي الثقافي والمعرفي والقيمي لدى الطلاب، حيث تتضمن الكتب الدراسية مجمل القيم والأفكار والمبادئ والتوجهات الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية التي تنص عليها الوثائق والسياسات التربوية والتعليمية في هذا البلد أو ذاك، والتي ترسم الإطار الفكري والقيمي الذي يجب أن ينشأ ويترعخ فيه الطلاب بوصفهم العماد الأساسي لأي نهضة تنموية مستقبلية على الأصعدة كافة (العقيلي، ٢٠٠٤).

ولذا يؤكد (سعيد وعمار، ١٩٩٦) أن للكتاب المدرسي أهمية قصوى في تحقيق أهداف المجتمع في بناء الشخصية الثقافية للطلاب وفقاً للأهداف والسياسات العامة لهذا المجتمع أو ذاك، كما أنه يعد مصدراً غنياً ومهماً في تكوين الاتجاهات والقيم ومعايير القبول والرفض، وتنمية الشعور بالمسؤولية والانتماء، وربط الناشئة بتراث الأمة الحضاري والفكري؛ لتعزيز الهوية الجمعية لأفراد المجتمع.

وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة، إذ تأتي في ذروة التطورات العالمية ذات الوتيرة المتسارعة والمتجهة نحو عولمة الفكر والمفاهيم والقيم وسيطرة القطبية الأحادية في عالم اليوم وانعكاسات كل ذلك

(*) د/ عبد المحسن بن سالم العقيلي: أستاذ المناهج واستراتيجيات تعلم اللغة العربية وتعليمها المشارك كلية التربية/ جامعة الملك سعود.

على المجالات كافة بما فيها المجال التربوي والتعليمي، حيث تتعالى الانتقالات الغربية لما تحتويه المناهج الدراسية في بعض الدول العربية من مفاهيم ومبادئ تبدو لهم غير متساحمة، وترسم صورة سلبية عن الآخر الغربي، رغم أن جزءاً كبيراً مما جاء في هذه المناهج ينطلق أساساً من مجموع الأسس الفكرية والثقافية والدينية التي بني عليها المجتمع العربي والإسلامي.

ولعله من المنطقي في هذا السياق أن تطرح بعض التساؤلات المتصلة بما تتضمنه الكتب الدراسية في بعض الدول الغربية من قيم ومفاهيم ومكونات فكرية وثقافية، وهل تعكس هذه الكتب الأسس العقدية والفكرية والاجتماعية السائدة في تلك المجتمعات؟ وذلك من أجل مقارنة صورة العرب والمسلمين بشكل عام، وتحديد صورة الصراع العربي الإسرائيلي في تلك الكتب الدراسية؛ وذلك باعتبار القضية الفلسطينية تقوم على رافعتين أساسيتين: العروبة والإسلام.

وتعد المسألة الفلسطينية إحدى المكونات الرئيسة للخيال العربي والإسلامي والإنساني على كافة المستويات الوجدانية والفكرية والرمزية كافة. وفي هذا المجال يؤكد (بشارة، ٢٠٠٩) أن مأساة احتلال فلسطين وقيام إسرائيل هما عقدة بارزة في التاريخ العربي الحديث، وهما جرح مازال مفتوحاً وراعفاً؛ مما يجعلها تحتل مكانة بارزة في الوعي العربي. ويضيف بشارة أن قضية فلسطين تقع على تقاطع مسألتين كبيرتين، وهما المسألة العربية ببعديها القومي والإقليمي، وما تفرزه من صراعات وتعميدات، وكذلك ما تقدمه من تحفيز وترميز لرفض الاستعمار والنزوع نحو التحرر والاستقلال. أما المسألة الأخرى فهي اليهودية العالمية، وذلك باعتبار الغرب هو العالم، وتاريخه هو التاريخ العالمي، وثقافته هي المسيطرة في صنع الصور على المستوى العالمي. وهي المسألة التي ما زالت تصدر معلبة إلى منطقتنا من أوروبا، والتي تمنع رؤية قضية فلسطين بوصفها قضية استعمارية (كولونيالية)، وتجعل إسرائيل جزءاً من أوروبا والغرب؛ حيث أُخرجت من عالم الشرق، وصورت على أنها ضحية شرقنا العربي. ولذلك كله فالقضية الفلسطينية تحمل قدراً هائلاً من الرمزية والدلالات المكثفة التي تجعلها حاضرة دوماً في الوجدان والعقل؛ مما يجعلها قضية مركزية سياسياً واجتماعياً وتربوياً. ومن هنا يأتي اهتمام بعض الدول بتدريس القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي لطلاب التعليم العام، وخاصة في دول بعيدة جغرافياً مثل بريطانيا وفرنسا وأمريكا، كما سيأتي بيانه بعد قليل في الدراسات السابقة.

من مجموع ما سبق جاءت فكرة هذه الدراسة والتي تتمحور حول تحليل صورة الصراع العربي الإسرائيلي، وفحص مكونات الخطاب اللغوي - التربوي التي يتضمنها كتاب في المنهج الدراسي في بريطانيا يحمل عنوانا لافتا، وهو (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab- Israeli Conflict). ولعله من المثير للدهشة أن يُخصص كتاب كامل لتدريس الطلاب البريطانيين هذه القضية، مع أنها قد تبدو قضية هامشية بالنسبة لهم ولمن في سنهم (الكتاب يدرس لفئة عمرية من سن ١٤ إلى ١٦)؛ بل إننا حين ندقق النظر نجد أن أصحاب الشأن (وهم العرب والمسلمون) لا يخصصون كتابا كاملا لهذه القضية في كتبهم المدرسية مع مركزيتها في وجدانهم وفكرهم، حيث يُكتفى بتدريسها بوصفها موضوعا داخل مواد العلوم الاجتماعية! وإذا كانت (المعرفة دهشة) كما يقول الفلاسفة؛ أي أن الدهشة أحد مصادر التحفيز للمعرفة، فقد وجد الباحث نفسه مشدودا معرفيا ونفسيا ووجدانياً لمقاربة هذا الكتاب وقضيته بالتحليل والدرس العلميين.

إضافة إلى ما سبق، فإن قضية الصراع العربي الإسرائيلي تعد إحدى القضايا الإشكالية في علاقة العالم العربي والغربي؛ ولذا فإنه من المهم دراسة التنشئة التربوية/ السياسية للطلاب تجاهها. وقد جاء اختيار بريطانيا تحديداً؛ لأنها تعد واحدة من أهم الدول الغربية التي لها احتكاك مباشر بالعرب والمسلمين منذ الحقبة الاستعمارية وإلى اليوم؛ بل إنها المسؤول الأكبر عن المأساة الفلسطينية كما هو ثابت تاريخيا.

والخلاصة أن هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن أهم المفاهيم والأفكار والقيم التي يتضمنها الجهاز المفاهيمي لكتاب (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab - Israeli Conflict)؛ عبر تحليل صورة الصراع كما يعرضها الكتاب، ومحاولة سبر أغوار مستويات الخطاب اللغوي - التربوي المتضمنة فيه.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يشتكى العالم الغربي، وتحديدًا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، من تحيز الكتب الدراسية في بعض الدول العربية والإسلامية ضده، وأنها تنتج (بما تتضمنه من أفكار ورؤى وتصورات) جيلا مبرمجا ذا تربية سياسية منحازة تحث على الكراهية، ويرون كذلك أن تلك الكتب تقدم صورة عدائية ومشوهة للآخر الغربي من خلال اشتغالها على خطاب فكري وتربوي إقصائي ومنطوي على ذاته الحضارية والدينية؛ مما يهيئ لانتشار بذور التطرف في نفوس الطلاب، وفقًا لمزاعمهم. وقد تلا هذه الشكوى حملات مستمرة على المناهج والكتب الدراسية في العالم العربي والإسلامي موظفة اتهامات وادعاءات باطلة في معظمها. وفي خضم هذه الاتهامات والحملات طرح عدد من الأسئلة المعاكسة حول صورة العرب والمسلمين، وقضاياهم فيها، وبشكل خاص قضية الصراع العربي الإسرائيلي، بوصفها قضية أساسية في صياغة الذهنية الغربية السياسية والاجتماعية والوجدانية تجاه العرب والمسلمين وما هي المكونات الفكرية والثقافية للخطاب التربوي لها؟ وهل هذه المكونات تتسق مع البني الفلسفية والحضارية والدينية التي ينبثق منها المجتمع الغربي؟

من هنا انبثقت مشكلة هذه الدراسة، والتي تحلل صورة الصراع العربي الإسرائيلي في كتاب دراسي في بريطانيا، عنوانه (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab- Israeli Conflict)، ومقارنة مستويات الخطاب اللغوي - التربوي، والرسائل الضمنية والمشفرة المبتوثة فيه.

ويمكن القول بشكل أكثر تحديداً أن مشكلة الدراسة تتمثل في السؤال التالي:

س: ما أهم مكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي في كتاب (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab- Israeli Conflict) في المنهج الدراسي البريطاني؟

ويتضمن هذا السؤال بالضرورة الأسئلة الفرعية التالية:

س: ما القيم والأفكار والاتجاهات التي يحتويها الكتاب؟

س: ما الدلالات السياسية والتاريخية والحضارية للصراع العربي الإسرائيلي التي يوحى بها الكتاب؟

س: ما مدى ارتباط مفاهيم الكتاب وصوره الذهنية بالمعطيات الواقعية التاريخية والسياسية للصراع

العربي الإسرائيلي؟

أهداف الدراسة:

الهدف الرئيس للدراسة هو تحليل صورة الصراع العربي الإسرائيلي في كتاب (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab- Israeli Conflict) في المنهج الدراسي البريطاني، وفحص مكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي التي تنتظم الكتاب.

ويضم هذا الهدف المحوري أهدافاً فرعية أخرى، وهي:

- تحليل القيم والأفكار والاتجاهات التي يحتويها الكتاب.
- تحليل الدلالات السياسية والتاريخية والحضارية للصراع العربي الإسرائيلي التي يوحي بها الكتاب.
- تحليل مدى ارتباط مفاهيم الكتاب وصوره الذهنية بالمعطيات الواقعية التاريخية والسياسية للصراع العربي الإسرائيلي.

أهمية الدراسة:

يمكن إيجاز أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- أنها تحلل صورة الصراع العربي الإسرائيلي في كتاب (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab- Israeli Conflict) في المنهج الدراسي البريطاني، وتلمس مكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي في الكتاب، وما يتضمنه من صور ومفاهيم تتعلق بالعرب والمسلمين، خاصة أن الدراسات التي تتناول مثل هذا الموضوع قليلة حسب اطلاع الباحث.
- أنها توظف منهجية تحليل الخطاب Discourse Analysis، وهو منهج حديث ومعاصر، وخصوصاً ما يتصل بتطبيقه في مجال البحث التربوي.

- ربما تفيد الدراسة العاملين والمهتمين والباحثين في حقل درس العلاقات الثقافية والتربوية بين العالم الغربي والعالم العربي - الإسلامي، وخاصة ما يتعلق بتحسين الصور النمطية عن العرب والمسلمين، وتصحيح صورة القضية الفلسطينية في الكتب الدراسية البريطانية.

مصطلحات الدراسة:

الخطاب: يرى الجابري (١٩٨٨) أن "الخطاب" هو مجموعة من النصوص التي تشكل خطاباً أو فكرًا، فالخطاب باعتباره مقول الكاتب هو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر، أو هو هذه الواجهة من النظر مصوغة في بناء استدلالي يتضمن مقدمات ونتائج. ويشير بغوره (٢٠٠١) إلى أن للخطاب - بهذا المفهوم - جانبين، الأول ما يقدمه الكتاب وهو الخطاب، والثاني ما يقرؤه القارئ وهو التأويل، وهذا يعني أن هناك قراءتين للخطاب وتحليله: القراءة التأويلية أو التشخيصية التي يعيد فيها القارئ بناء القضايا والمفاهيم المتبناة في الخطاب، ويقدم وجهة نظره فيها (وهذا النوع من القراءة هو المقصود هنا)، والقراءة الاستنساخية، وهي التي تقف عند حدود التلقي المباشر (الجابري، ١٩٨٨).

النظام المعرفي (الإبتسمولوجي): يرتبط مفهوم "الخطاب" وتأويله بمفهوم الإبتسمية أو النظام المعرفي، والذي يعني جملة من المفاهيم والمبادئ والإجراءات التي تعطي المعرفة في فترة تاريخية ما بنيتها اللاشعورية؛ أي أن النظام المعرفي في الثقافة هو بنيتها اللاشعورية (الجابري، ١٩٩٨). وبحسب فوكو فإن الإبتسمية (النظام المعرفي) تعني مجموع العلاقات التي يمكننا الوقوف عليها في فترة ما بين العلوم، وذلك حين نحلل مستوى انتظاماتها الخطائية. وبسبب علاقته بالتاريخ، فإن النظام المعرفي ذو بنية متغيرة ديناميكية (بغوره، ٢٠٠١).

الخطاب اللغوي التربوي: المقصود به في هذه الدراسة مجموعة النصوص أو البناء الفكري الذي يتضمنه (كتاب الصراع العربي الإسرائيلي)، والذي يشكل في مجموعه خطاباً لغوياً - تربوياً ذا مكونات مفاهيمية محددة.

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

توظف هذه الدراسة منهج تحليل الخطاب Discourse Analysis، وهو منهج بحثي تحليلي نوعي (كيفي)، وتعود جذوره الأولى إلى الدراسات اللغوية والأدبية والفكرية، وقد تزايد في السنوات الأخيرة الاهتمام بتوظيف مقولات تحليل الخطاب وأدواته المنهجية في البحث في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية والتربوية؛ أي أنه أصبح منهجًا بحثيًا منفتحًا على مختلف العلوم بما يوفره من تقنيات وأدوات منهجية وعلمية يمكن استثمارها وتطبيقها في شتى التخصصات والحقول المعرفية، حيث يشهد هذا العصر المعلوماتي تداخلًا وتشابكًا بين مختلف العلوم، وخاصة ما يتعلق بتطوير تطبيقات المناهج والأساليب والأدوات والمقولات العلمية والمنهجية - البحثية (Ward, 1997).

وتتسم منهجية تحليل الخطاب بانفتاحها على مجموعة من المصادر والمرجعيات في العلوم السياسية واللغوية والفلسفية بل وحتى التاريخية؛ أي أنها توظف المعطيات والإنجازات النظرية والتطبيقية لهذه العلوم. كما أنها تهتم بتفكيك العناصر المؤسسة لبنية الخطاب (أي خطاب) سعياً نحو إعادة بنائها من جديد بما يسمح برؤية الكليات التي ينتظمها ذلك الخطاب، وذلك باستثمار آليات القراءة التأويلية؛ من أجل كشف وتشخيص عيوب الخطاب، وبيان تناقضاته البنيوية - الهيكلية، وفحص المنطق المفاهيمي الداخلي الذي يحكمه، وفضح المقولات والأنساق المضمرة التي يحملها الخطاب، أو بتعبير أكثر تجريدًا (ما سكت عنه النص)، وهو يشمل ما يتضمنه محتوى الخطاب من اتجاهات إيجابية أو سلبية أو محايدة نحو ظاهرة أو قيمة ما (العقيلي، ٢٠٠٤).

وتبدو أهمية استخدام منهجية تحليل الخطاب في تركيزها على الأنساق المضمرة، وخاصة عندما يكون التحليل هنا لخطاب لغوي - تربوي - تاريخي قد يتضمن قدرًا هائلًا من الرموز والإشارات والإحالات والأنساق المضمرة ذات الحمولات التاريخية والدينية والاجتماعية، بحيث يشكل مهمًا مهمًا في تشكيل هوية وعقل ووجدان المتلقين الذين هم من الناشئة والأطفال الصغار بشكل لا واعي؛ بل إن الخطاب التربوي أخطر أنواع الخطابات سواء من حيث المحتوى أو كيفية التقسيم (ربول، ٢٠٠٢).

ويؤكد (Zeeman et al., 2002) أن التوظيفات المعاصرة لمنهجية تحليل الخطاب في البحث التربوي قدمت إضافات ثمينة وجديدة للعلوم التربوية؛ سواء فيما يتصل بإثراء الأساليب البحثية أو

تماسك وأصالة النتائج التي تبني عليها، وذلك من خلال التركيز على الأسلوب الكيفي - النوعي في عملية التحليل.

إجراءات التحليل:

سارت عمليات التحليل وإجراءاته بشكل عام على النحو التالي:

- ١ - تفحص الموضوعات الواردة في الكتاب بشكل عام، والتي كُرسَتْ جميعها لعرض صورة للصراع العربي الإسرائيلي.
- ٢ - مقارنة عرض وجهتي النظر العربية والإسرائيلية حول قضية الصراع بينهما.
- ٣ - فحص السياقات التي يذكر فيها العرب والفلسطينيون والإسرائيليون، أو الموضوعات التي تتعلق بهم.
- ٤ - التركيز على المادة المكتوبة من نصوص ووثائق وعناوين، وغير المكتوبة مثل: الصور، والخرائط، والرسومات، والإخراج الفني، وكل ما له علاقة بتمرير رسائل ومفاهيم مختبئة تتعلق بصورة الصراع العربي الإسرائيلي.
- ٥ - فحص دلالات الكلمات وإيجازاتها والتداعيات الوجدانية والثقافية والحضارية والدينية.
- ٦ - بحث ما (سكت عنه النص) من خلال استجلاء الرسائل الضمنية والشفرات الرمزية داخل النص، أو ما يسمى بـ (استنطاق النص).
- ٧ - تتبع أنماط الانتقائية في عرض المعلومات وتوظيفها داخل السياق، وسبر أغوار المستويات المتنوعة للخطاب اللغوي - التربوي بشحناته المعرفية والقيمية داخل النصوص.

الخلفية النظرية للدراسة والدراسات السابقة:

نبذة عن النظام التعليمي في بريطانيا:

تتركز غايات النظام التعليمي البريطاني وأهدافه في هدفين رئيسيين: الأول توفير فرص كاملة ومتساوية لجميع الطلاب للتعلم ولتحقيق ما يصبو إليه المجتمع من خلال تنمية المشاعر الوطنية التي تحرك الدوافع الفردية والعامّة للمساهمة الفاعلة في دعم النشاط الاقتصادي والاجتماعي وترقية نمط الحياة، وذلك برفع معايير التحصيل المدرسي، ومستوى المهارات والكفاءات التي ترفد سوق العمل. أما الهدف الثاني فهو تنمية الجوانب الروحية والأخلاقية والاجتماعية والثقافية عند الطلاب، وإعدادهم لاستغلال الفرص التي تتاح لهم وتحمل المسؤوليات التي تلقى على عواتقهم، وللاستفادة من تجارب الحياة المختلفة (Department for Education and Employment, 1999).

ويعد التعليم في بريطانيا إلزاميا للفئات العمرية من ٥ إلى ١٦ سنة، ومعنى ذلك أن الطالب لا يمكنه مغادرة المدرسة قبل أن يبلغ السادسة عشرة. والتعليم متاح مجاناً في المدارس الحكومية ومتوافر للجميع بغض النظر عن الجنس واللون والطبقة الاجتماعية والدين والتوجه السياسي. وتنقسم المدارس في بريطانيا إلى مدارس ابتدائية ومدارس ثانوية، إذ يلتحق الطالب بالمرحلة الابتدائية في السن الخامسة حتى السنة الحادية عشرة من عمره، ثم ينتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانوية حتى السنة السادسة عشرة من عمره (Department for Education and Employment 1999).

ويوجد في إنجلترا نظام المراحل الثلاث، ولكنه يغطي ١٥% فقط من مجموع التلاميذ. ويتكون هذا النظام من المدارس الابتدائية وهي للأعمار من ٥ إلى ٨ أو ٩ سنوات، والمدارس المتوسطة وهي للأعمار من ٨ إلى ١٢ أو من ٩ إلى ١٣، ثم المدارس الثانوية وهي للأعمار من ١٢ إلى ١٦ أو من ١٣ إلى ١٨ سنة، غير أن النظام الأول المكون من مرحلتين (الابتدائية والثانوية) هو الأكثر شيوعاً (التعليم من حولنا، ١٤٢٢).

ويشير (Richards, 1998) إلى أن الحكومة البريطانية تبنت في السنوات الأخيرة منهجاً وطنياً يطبق على جميع طلاب المدارس في التعليم العام؛ إذ أصبح في التعليم البريطاني وللمرة الأولى مجموعة من الأهداف التعليمية لكل سنة في التعليم العام، وكل مدرسة حكومية مطالبة بالالتزام بتحقيق هذه

الأهداف. وقد أقيم هذا المنهج على أربع مراحل أساسية وفقا لقانون إصلاح التعليم الذي أقر عام ١٩٨٨ والذي أناط بالمدارس الحكومية توفير منهج يتسم بالتوازن. وقد تم تقديم المنهج الوطني بشكل تدريجي ولم يطبق بشكل كامل في كل أرجاء بريطانيا إلا في نهاية التسعينات. ولا يطبق المنهج الوطني في المدارس المستقلة (الخاصة) إلا إذا اختارته بنفسها طواعية. والمراحل الأربع التي يطبق فيها المنهج هي أولا المرحلة العمرية من ٥ إلى ٧ للسنة الدراسية ١ - ٢، والمرحلة العمرية من ٧ إلى ١١ للسنة الدراسية ٣ - ٦، والمرحلة العمرية من ١١ إلى ١٤ للسنة الدراسية ٧ - ٩، والمرحلة العمرية من ١٤ إلى ١٦ للسنة الدراسية ١٠ - ١١. وفي كل مرحلة من المراحل الأربع المشار إليها توجد مقررات محورية وأخرى أساسية لابد من تعليمها للطلاب، وتحظى المقررات المحورية بجل وقت التعليم (Department for Education and Employment, 1999).

الصورة النمطية: المفهوم وكيفية التشكل:

يعد والتر ليمان أول من استخدم مصطلح الصورة الذهنية النمطية (Stereotype) حيث أوضح في كتابه (الرأي العام) أن الإنسان يتعلم أن يرى بذهنه القسم الأعظم من العالم الذي لا يستطيع أن يراه أبداً، أو أن يسلمه، أو يشمه، أو يسمعه، أو يتذكره، بحيث يصنع تدريجياً لنفسه وداخل ذهنه صورة يمكن الاعتماد عليها عن العالم الذي لا يستطيع الوصول إليه. وأوضح ليمان أن عملية التمييز تتضمن وسائل تنظم الصور، وانطباعات ثابتة ومبسطة، وملامح بارزة منتقاة لتمثل الكل (خضور، ٢٠٠٢). وينقل (بن سعيد، ٢٠٠٠) أن ليمان استخدم مصطلح الصورة النمطية ليصف ميل الإنسان إلى اختزال المعلومات والمدركات، ووضع الناس والأفكار والأحداث في قوالب عامة مريحة؛ من أجل فهم أسهل.

ويؤكد (خضور، ٢٠٠٢) أن الأدبيات لا تميز بدقة بين مفاهيم: (الصورة النمطية Stereotype)، والتحمل (الحكم المسبق Prejudice)، والصورة (الانطباعية الذهنية Image). وقد انتشر مفهوم الصورة الذهنية في الخمسينيات وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، ليُعبر عن منزلة أو هالة (Aura) الفرد أو الحزب أو البلد في الحياة العامة.

ويعرف قاموس وبستر الشهير الصورة الذهنية بأنها "مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة بعينها أو جنس بعينه أو فلسفة سياسية أو قومية معينة". ويخلص (حضور، ٢٠٠٢) إلى أن الصورة الذهنية هي مجموعة الأحكام والتصورات والأحكام والانطباعات القديمة المتوارثة والجديدة المستحدثة، الإيجابية منها والسلبية، التي يأخذها شخص (أو جماعة أو مجتمع) عن آخر، ويستخدمها منطلقاً وأساساً لتقييمه لهذا الشخص أو ذلك المجتمع وتحديد موقفه وسلوكه إزاءه.

ويرى (حطب، ١٩٩٦) أن الصورة الذهنية - النمطية تجسيد لواقع فكري معين، ولها مقدرة كبيرة على تقنين الفكرة، فهي القالب الذي تُصَبُّ ضمنه، ويحفظها من الضياع، ويُسهَّل انتشارها. وعندما تتشكل الصورة تصبح بحد ذاتها منطلقاً لعمليات فكرية جديدة تُضاف إلى الصورة، فتبلورها.

ويشير (أبو زيد، ١٩٩٧) إلى أن بنية الصورة الذهنية تتشكل لدى الإنسان تجاه شخص أو شعب معين من ثلاثة عناصر:

١ - مجموعة الصفات المعرفية التي يستطيع أن يدرك بها ذلك الشخص أو الشعب بطريقة عقلانية.

٢ - العنصر العاطفي المتعلق بالميل لذلك الشخص أو الشعب أو النفور منه.

٣ - السلوك المتمثل في مجموعة من الاستجابات العملية تجاه ذلك الشخص أو الشعب الذي يرى الفرد ملاءمتها له وفقاً للصفات التي أدركها في ذهنه.

صورة العرب والمسلمين في الذهنية الغربية:

شكل الغرب صورة ذهنية نمطية ومقولة عن العرب والإسلام خلال عملية معقدة وممتدة في التاريخ والمجتمع. وقد أسهم في تكوين هذه الصورة عوامل دينية وسياسية واقتصادية وثقافية، منفردة ومجمعة. وتشكل هذه الصورة تركيباً معقداً من المصالح والآراء والأحكام والتصورات والأوهام والمعلومات. وتم توظيف الإعلام لترويج هذه الصورة ونشرها عبر ممارسة إعلامية منهجية وتماسكية، وشاملة ومستمرة. وقد حدث ذلك بالرغم من أن القوانين في جميع الدول الغربية تمنع التفرقة في تقديم

الأفراد والجماعات بنوع من التحامل على أساس السن أو الجنس أو العرق أو القومية أو الدين؛ مما يعني أن الصورة المقولبة للعرب والمسلمين تعد انتهاكا فاضحا لحقوق الإنسان التي يرفع الغرب شعاراتها وينادي بها (حضور، ٢٠٠٢؛ بن سعيد ٢٠٠٠).

ويشير (اسبوزيتو، ٢٠٠٢) أن للصراع الإسلامي النصراني بدءًا من الفتوحات الإسلامية ومرورا بالحروب الصليبية أثرًا كبيرًا على تكوين صورة الإسلام في الفكر الغربي. وقد أنتج هذا الصراع في الجانب الغربي عدم ثقة وقطيعة مع الإسلام، أدت إلى تصوير الإسلام على أنه خطر يتهدد العالم المسيحي. وهذا الخوف والازدراء ممتزجا مع النظرة المركزية العرقية الأوروبية أنتج صورة مشوشة للإسلام والمسلمين في الفكر الغربي.

ويجمع معظم الباحثين (مثلاً الرفاعي، ٢٠٠٢، وسعيد، ١٩٨١؛ وحضور، ٢٠٠٢) على أن الاستشراق بوصفه مؤسسة سياسية ثقافية راسخة ذات طابع تاريخي - اجتماعي - سياسي يعد من أهم الروافد في تشكيل هذه الصورة النمطية السلبية للعرب والمسلمين، حيث أنتج معرفة مُسيّسة لخدمة القوى والمصالح الاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية الأوروبية. ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ بل إنه - ومن أجل استكمال ترسيخ وتوطيد مضامين هذه الصورة - تمّ نقل هذه المعرفة الاستشراقية المسييسة إلى المناهج المدرسية والأدب الشعبي ووسائل الإعلام الجماهيري.

ويرى (سعيد، ١٩٨١) أن الاستشراق هو المعرفة الغربية المؤسساتية بالشرق، وهذه المعرفة ليست مسكونة بهاجس معرفة واقع الشرق ودراسة معطياته كما هو، بل من خلال الرؤية الاستشراقية للشرق. وبهذا تحول الاستشراق إلى مجموعة من الضوابط المعقدة المفروضة على التفكير، حيث فرض الاستشراق حدودًا على الفكر المتعلق بالشرق. وتحول إلى أسلوب في التفكير قائم على تمييز وجودي (أنطولوجي)، ومعرفي (إبستمولوجي) بين الشرق والغرب. وهنا تبرز المشكلة في مدى التطابق بين الاستشراق والشرق.

ويضيف (العقيلي، ٢٠٠٤) أن التوظيف الإيديولوجي لما هو معرفي (أو ما يفترض أنه كذلك) يتجلى في كون الاستشراق استجاب للثقافة التي أنتجته أكثر مما استجاب لموضوعه المزعوم، الذي كان هو أيضا من إنتاج الغرب. لقد كان تعامل المستشرقين مع الشرق ناقصا، لذلك أنتجوا معرفة من الدرجة الثانية. كما نظر الاستشراق إلى الشرق كحقيقة حاملة وثابتة.

ويشير (السيد، ٢٠١٠) إلى نتائج استطلاع أجرته إحدى مؤسسات الرأي العام في ألمانيا، أظهرت أن كثرة من الألمان تربط بين الإسلام والعنف. ويذكر باحثون فرنسيون وألمان وبريطانيون أن العداء للمسلمين وليس للإسلام يعود لسببين رئيسيين: ارتباط هؤلاء في أذهان الأوروبيين بالعنف، وارتباطهم في الأذهان بالتقاليد والممارسات الخاصة التي ينفر منها الأوروبيون مثل اللباس الخاص للنساء، واللحى للرجال، والعيش بأساليب خاصة. ويضيف السيد مؤيداً أنه وبالفعل فإن الاستطلاع الألماني السالف الذكر أظهر أن كثرة بألمانيا تعتبر الإسلام ديناً عنيفاً أو يشجع على العنف، كما أنها تربطه بالتمييز ضد المرأة، وشاهدتهم على ذلك تعدد الزوجات، وممارسات الطلاق، وعدم قبول تعليم المرأة، وإرغامها على الزواج في سن الصغر! وقد لفت نظر دارسي الاستطلاع أن «الشواهد» التي يذكرها المشاركون في الاستطلاع، إما أنها غير صحيحة، أو أنها تنمي إلى غير ألمانيا، مثل القول إن الدليل على عنف المسلمين استمرار وجود تنظيم القاعدة في أفغانستان وباكستان وبعض البلدان، الأفريقية. أما السبب الثاني في درجة اهتمام الأوروبيين وهو غطاء الرأس لدى المرأة وأخيراً النقاب - وهو المتصل بالأسلوب الخاص للمسلمين في العيش - فإن النقاش فيه يتسم أيضاً ببعض العبثية. ففي فرنسا وبلجيكا حيث صدرت قوانين تمنع وتحرم، ليس هناك غير بضع مئات من الفتيات اللواتي يصرن على وضع النقاب باسم الدين، وأسر هؤلاء لا تفرض عليهن ذلك، بل والأكثر أنها تعارضه. لكن الرئيس ساركوزي وبعض الألمان، مصررون على أن ذلك دليل على التمييز ضد المرأة من جانب الرجال، أو من جانب الدين ذاته (السيد، ٢٠١٠).

وقدم (ذكير، ٢٠٠٠) مراجعةً تحليلية لعدد من الدراسات والبحوث التي تناولت العلاقة بين الإسلام والغرب توصل من خلالها أن هناك عددًا من المفاهيم المركزية المشتركة بين معظم هذه الدراسات، من بينها انتشار ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب (الخوف من الإسلام) التي استحوذت على اهتمام كبير ودارت حولها نقاشات طويلة، مع ربطها باعتبار الإسلام هو العدو الجديد للغرب، أن صراعاً حضارياً بينهما سيقع لا محالة.

وينقل (سعيد، ١٩٨١: ٢٨٧) أن المستشرقة الأمريكية إيميت تيرل كتبت في مجلة "هاربر" إن العرب أساساً قتلة، وإن العنف والخديعة محمولان في الموروثات العربية. والفكر الغيبي يسيطر على العرب، والمرأة عندهم مجرد أداة للمتعة في مناخ الحريم، والآحر هو عدو. "ويبلغ التنميط والقولبة مداهما

حين يصور العربي بأنه ينتج نفسه إلى ما لا نهاية جنسيًا ولا شيء آخر؛ أي أن العربي - وفقًا لهذه الرؤية - كائن بيولوجي محض، أما مؤسسيًا وسياسيًا وثقافيًا فهو صفر.

ويبدو أن هذه الصورة النمطية والمشوهة للعرب والمسلمين التي تبنتها أدبيات الاستشراق قديمًا وواصلتها وطورتها الآلة الإعلامية البريطانية حديثًا - قد تسلفت إلى الكتب الدراسية، حيث تتفق بعض الدراسات التي تناولت الكتب المدرسية البريطانية (Hannan, 1982; & Hicks, 1981) في أن تلك الكتب تتضمن تشويه متواصلًا للتاريخ والأحداث المعاصرة المتصلة بالعرب والمسلمين. ومع أن الاهتمام الرئيسي في هذه الكتب كان منصبًا على رسم صورة لمجتمعات من خارج الشرق الأوسط، إلا أن الصورة العامة لا تعدو أن تكون امتدادًا للصورة الإمبريالية المتكررة بحيث تعكس الرؤية الاستشراقية، وهذا واضح في كتب التاريخ المدرسية التي تشوه الإسلام وتقدم صورة مقلوبة عنه. وأنجز بريسويرك وبيرو (نقلًا عن نصر، ١٩٩٥) دراسة لتحليل صورة الإسلام في كتب التاريخ للمرحلة الثانوية، وقد تناولت الكتب المدرسية لعديد من البلدان الأوروبية، ولم تخصص إلا جانبًا من أحد الفصول للقوالب المتعلقة بالإسلام، واستندت الدراسة على كتب ثمانية. وانتهت هذه الدراسة إلى وجود ثلاثة قوالب كبرى تُنسب دائمًا إلى العرب والمسلمين في نصوص الكتب التي تناولت الحضارة الإسلامية، وهي "التعصب، والعدوان، والتوسع". فالتعصب الإسلامي يرد دائمًا كوصفة جاهزة لشرح أو وصف كل ما يتعلق من قريب أو بعيد بأحد العرب، والوجود المستمر لهذا القالب يوجد إحساسًا بأن "العربي المتعصب" تعبير من كلمة واحدة لا انفصام فيها. وترتبط سيرة العرب أيضًا وبصفة شبه آلية بفكرة العدوان والنهب والسلب. كما يشير أحد الكتب إلى فكرة انحطاط البلدان الإسلامية وطابعها التوسعي بالقول: "وعلى الرغم من انحطاط العالم الإسلامي في مصر وفي شمال أفريقيا وفي الشرق الأوسط، فإن الإسلام كان يتسرب إلى كل مكان مستفيدًا من ركود الشعوب الموجودة على الشواطئ".

وأجرت جمعية "الإسلام والغرب" (نقلًا عن نصر، ١٩٩٥) دراسة مطولة عن صورة الإسلام في أحد عشر كتابًا للتاريخ في فرنسا للسنتين السادسة والخامسة من المرحلة الثانوية لعام ١٩٨٠ - ١٩٨١. ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن كتب التاريخ الفرنسية تصمت حيال مساهمة الإسلام في تطور الحضارة الإنسانية، وفي ما يتعلق بالفتح العربي تنتقد الدراسة سكوت الكتب المدرسية عن شرح "سرعة الفتح العربي التي تعود إلى الظروف المناسبة". وتفسر هذه الكتب سماحة الفاتحين وحركة

التعريب بطريقة خاطئة؛ حيث تشير إلى أن العرب فرضوا في كل مكان ديانتهم ولغتهم، وكانت الحريات المتروكة للمسيحيين تهدف إلى تحقيق مكاسب مالية. ولا يفوتها أن تصف الجزيرة العربية بأنها البلاد الصحراوية الشاسعة التي لا تسكنها إلا قبائل صغيرة راحلة يقوم بينها التنافس على الدوام، ولا تتضمن أي إشارة إلى وجودها على تخوم الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، أو إشارة إلى الخليط الديني اليهودي والمسيحي الموجود في الحجاز. وتفيض الكتب بالنزعة الخافية والخبيثة إلى التمحور حول أوروبا التي لا ترى في الإسلام إلا "مقلداً لا يتمتع بخيال مُبدع".

وقدمت (نصر، ١٩٩٥) دراسة بعنوان "صورة العرب والمسلمين في الكتب المدرسية الفرنسية"، وقد وجدت فيها - فيما يتصل بصورة الإسلام - أنه دين الخضوع وهو بشكل أساسي مجموعة من القواعد والشعائر، كما يغلب على الكتب الميل إلى اعتبار الانقسامات السياسية قدرًا ملازمًا للإسلام، وإهمال حقيقة ظهور سلسلة من الإمبراطوريات التي دامت لفترات طويلة نسبيًا عرفت كل منها عهود استقرار قبل تحللها. كما أن الكتب تنظر إلى الإسلام باعتباره كتلة واحدة سواءً على المستوى اللغوي أو العرقي أو الثقافي، ولا ينظر إلى التنوع في العالم الإسلامي إلا على المستوى الديني كمظهر من مظاهر الصراع الداخلي والاختلاف. وكنتيجة مترتبة على هذه النظرة الأحادية الجانب يتم في معظم الأحيان تقليص الإسلام إلى مكونه العربي، ويسود في الكتب ترادف والتباس واسعان بين (مسلم) و(عربي) يُعمل أثره في كلا الاتجاهين. أما فيما يتعلق بصورة العربي، فتصوره الكتب على أنه قدرتي ويؤمن بالخرافة، وهو جبان وخائف، وكسول وضعيف الإنتاج، كما أن العرب متنقلون لا أراضي لهم، وهم دخلاء على أراضي الغير، ويطمعون في ثروات الآخرين.

أما الكتب الدراسية البريطانية فيشير (الشمعة، ٢٠٠٣) إلى أن المتتبع لصورة العرب والمسلمين الشائعة فيها يلحظ أن النزعة المركزية الأوروبية هي التي تتحكم في صناعة هذه الصورة وبلورتها على المستويين: الواعي واللاواعي. وتتضمن هذه الكتب تهميشًا للأثر الحضاري للعرب والمسلمين في تكوين الحضارة الغربية والتركيز المبالغ فيه على التراث العبراني الأصولي، وتصر الكتب الدراسية على تكريس مفهوم (الحضارة المسيحية اليهودية). كما تحتوي هذه الكتب على أحكام مسبقة وسلبية تجاه العرب والمسلمين، وخاصة حين تناول القضية الفلسطينية، حيث يوصف الفلسطيني بـ (غير المتمدن).

كما أنجز (العقيلي، ٢٠٠٤) دراسة كتب التاريخ في المنهج البريطاني والمعنون بـ: (ممالك أو عوالم القروض الوسطى (The Medieval Realms)، وانتهت نتائج الدراسة إلى تصنيف مجموعة من المكونات التي ينتظمها الجهاز المفاهيمي للخطاب التربوي – التاريخي في الكتاب المحلل، ومنها: تشويه القادة المسلمين: صلاح الدين الأيوبي نموذجًا، وتوظيف فكرة الدفاع عن النفس في تبرير العدوان والحروب، والرؤية المثالية المتسامية للذات الإنجليزية وتكريس الأنا المركزية، وتهميش الحضارة العربية والإسلامية، بالإضافة إلى ذلك، فإن التحليل النهائي كشف عن الحضور الطاعني للأفكار والرموز الدينية والحضارية للثقافة الغربية؛ مما يعكس أن محتويات هذا الكتاب تتوافق مع الأسس العقيدية والفلسفية والاجتماعية للمجتمع الأوروبي في محيطه العام، والبريطاني في محيطه الخاص. كما أن معظم نصوص الكتاب مرتبطة بشكل بارز بالمعتقدات المسيحية، وذلك من خلال توظيف الرموز والأحداث والإشارات الدينية، بما يفضي إلى تشكيل شخصية الناشئة وتعزيز هويتهم الثقافية والتاريخية والدينية.

صورة الصراع العربي الإسرائيلي في الغرب:

لا تختلف الصورة النمطية للقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي في الأدبيات الغربية عن إظهارها العام ومكونها الأساسي والمتمثل في صورة العرب والمسلمين، حيث تنتشر في تلك الأدبيات صور نمطية – سلبية، فعلى سبيل المثال أجرت الباحثة عدوية حلمي (نقلًا عن حضور، ٢٠٠٢) رسالة دكتوراه في جامعة "كنت" بالولايات المتحدة الأمريكية حول تحليل مضمون الكتب المدرسية لطلاب المدارس الابتدائية؛ بهدف معرفة الشخصية العربية والإسرائيلية الموجودة فيها.

وأظهر البحث وجود تحيز واضح لصالح إسرائيل وضد العرب، حيث تؤكد هذه الكتب أنه عندما عاد اليهود إلى فلسطين وجدوا أن الأرض مازالت كما هي عليه في أيام أجدادهم الأوائل. وتصور إسرائيل على أنها أرض غنية بشجاعة شعبها، رغم أنها تُعتبر أصغر دولة في الشرق الأوسط، ولكنها أهم دولة. وتُصور العرب على أنهم شعوب متخلفة في كافة أوجه حياتهم، ولم يحققوا أي تقدم منذ ٤٠٠ سنة. أما اليهود فعندما أتوا إلى فلسطين تحوّلت إلى جنة متقدمة في الفن المعماري والحياة الاقتصادية والاجتماعية.

وفي إطار بحث صورة العرب والمسلمين في الكتب الدراسية الأمريكية أنجز القزاز (Al-Qazzaz, 1975) دراسةً مطولة حلل فيها محتويات ستة وثلاثين كتابًا مدرسيًا للعلوم الاجتماعية مقررة للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة في ولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة وفي غيرها من الولايات خلال السنة الدراسية ١٩٧٤ - ١٩٧٥. وقد ركز القزاز في فحصه لهذه الكتب على مجموعة من مستويات التحليل، منها: الصور والخرائط، والنوع المستعملة لوصف العرب، ونقل معلومات غير صحيحة أو مشوهة أو زائفة، وإغفال الكلام التلطفّي أو المعلومات المخففة التي قد تعطي صورة إيجابية عن العرب. وقد قام كذلك، لدعم نتائج تحليله، بإجراء مقابلات مع حوالي عشرين معلمًا من معلمي المدارس الابتدائية والمتوسطة في منطقة سكرمنتو لتقرير طرق التدريس والمواد التكميلية المستعملة، وللحصول كذلك على تقويمات لكيفية معالجة أمور العرب في الكتب المنهجية المدرسية. وجد القزاز في تحصيله لصورة الإسلام كما رسمت في هذه الكتب أنها صورة مشوهة للعقيدة الإسلامية تفرط في تأكيدها على طبيعة الإسلام العنيفة والمولعة بالقتال. أما بالنسبة للعرب، فيجري تصويرهم كشعب بدوي يعيش في صحراء واسعة، ويستخدم الحمل كوسيلة وحيدة لمواصلاته. وهؤلاء الأعراب البدو، بطبيعة الحال، شغوفون بالغزو والنهب والسلب. وهم يقاتلون بعضهم بعضًا من أجل المراعي الجيدة ويسلبون المسافرين الذين يقطعون الصحراء. وأقرب شيء إلى قلوبهم سهوات الجياد العربية الرائعة السرعة للاشتراك في قتال، يحدوهم أمل بسلب القوافل.

ويرى القزاز أن هذا المفهوم السيء المتعمد لا يعدو أن يكون تسويغًا لتأييد بعض الأساطير الصهيونية التي تزعم أن الصهاينة "قد جعلوا الصحراء تزهري"، وتأييد مثل هذه الأساطير يتغلغل في جميع هذه الكتب المنهجية. كما تؤكد تلك الكتب على أن فلسطين أرض خالية، والعدد القليل من الناس الذي يعيشون فيها هم كسالى بدائيون، على العكس من الإسرائيليين الذين هم أمة من أناس يقومون عن طريق التفكير الواسع الخيال والتخطيط الدقيق والعمل الشاق من أجل إيجاد حقول خصبة من الأرض اليباب الصحراوية والمستنقعات. وفي سبيل بناء صورة خرافية - أسطورية للنجاح والتفوق الإسرائيليين، تزعم تلك الكتب أنه لم يحدث أبدًا أن عمل شعب بجهد أكبر، ضد معوقات عظيمة، لإعادة بناء أرض أمست ميتة وفقراء بسبب قرون من الإهمال، كما عمل شعب إسرائيل. لكن هذا

الشعب يواجه التحدي ببصيرة وقوة، وإنه بمساعدة العلم الحديث يحول الأرض القاحلة والخالية إلى أمة منتجة تزخر بالنشاط.

وفي دراسة لأبي لبن (Abu-Laban,1975) لتحليل محتوى الكتب المنهجية المقررة في مدارس يوم الأحد البروتستانتية والمستعملة في منهجين (محافظين) ومنهجين (متحررين)، وذلك لمعرفة كيفية تناول شعوب الشرق الأوسط فيها، وجد أبو لبن فيها من التحيز والتعرض ما وجدته القزاز، فمع أن الطوائف المتحررة هي أقل خضوعاً للدوغما (التعصب) الدينية من الطوائف الأصولية، إلا أن كتب هذه الطوائف تتناول العرب بشكل غير تحييدي وبدرجات مختلفة، كما أنها تنظر إلى اليهود بصفتهم (شعب الله المختار)، وإلى فلسطين بصفتها (أرض الميعاد)، وإلى الإسلام بصفته ديانة غريبة وأدنى شأنًا.

وأجرى برى (Perry, 1975) من جامعة ولاية إنديانا تحليلاً لعشرين كتاباً منهجياً تستعمل للتدريس في المدارس المتوسطة والثانوية، اتضح أنها تعزز الصور الكاذبة وسوء العرض والمعلومات المتحيزة عن الإسلام والعرب ونزاع الشرق الأوسط. وقد وجد برى أن تناول الإسلام في هذه الكتب يتراوح بين الدقة وبين استخدام مادة مشوشة وغير مهضومة بشكل صحيح. فعلى سبيل المثال، من المعتاد أن تجد في تلك الكتب وصفاً للقرآن على أنه مجرد مجموعة لكتابات النبي محمد. ويقدم الإسلام أحياناً، وبدرجات متفاوتة، على أنه ديانة غير متسامحة Intolerant.

والتصور الخطير الذي يعزز في هذه الكتب هو أن العرب بدو بصورة غالبية. ويشدد المؤلفون كل التشديد على الجانب المادي من الصحراء والحمل والبداءة، وينشرون عددًا غير متناسب من الصور عن هذه الأمور. ووجد برى أن أغلب الكتب، عند ذكرها للنزاع العربي - الإسرائيلي، غير منصفة في تناولها للفلسطينيين واللاجئين منهم (هذا إذا ذكرت الكتب وجود هؤلاء)، ولكنها تقدم صورة تحييدية عن اليهود؛ فهم الذين يعملون بإخلاص، وبمهارة، وبسعة خيال، وقوة شعور بالهدف. فضلاً عن ذلك، فإن "الإرهاب" كما يقول برى هو وصمة تستعمل في هذه الكتب للإشارة إلى نشاط "منظمة رجال العصابات" الفلسطينية.

كما أجرى العبد الكريم (٢٠٠٣) بحثاً درس فيه الصراع العربي الإسرائيلي في المناهج الأمريكية من خلال كتاب (تأريخ العالم: روابط للحاضر) وخلص فيه إلى أن الكتاب قد عرض موضوع الصراع

العربي الإسرائيلي بشكل منحاز إلى الدولة اليهودية، أسهب فيه بالحديث عن اليهود وأجمل فيه الكلام بشكل مخل عن العرب والفلسطينيين. ولم يكن موضوعيا في تقديم وجهتي النظر للجانبين، بل كان منحازا لوجهة النظر اليهودية، من خلال نوعية وكمية المعلومات المقدمة. وقد حاول المؤلفان، فيما يظهر، التأثير على حكم القارئ بشكل غير مباشر بتقديم معلومات مكثفة في جانب، وإخفاء أخرى مهمة في الجانب الآخر. وعليه فلا يمكن للدارس الأمريكي - أو القارئ - تكوين موقف سليم مبني على معلومة صحيحة، بل من الواضح أن المعلومات قدمت بشكل يوحي بتعاطف قوي مع الموقف الإسرائيلي.

وفي العصر الحديث أسهم الإعلام العربي (وخصوصاً البريطاني) بدور مؤثر في صياغة صورة مشوهة ومقلوبة عن العرب والمسلمين. فعلى سبيل المثال، أجرى (ساري، ١٩٨٨) بحثاً علمياً على شكل رسالة دكتوراه تحت عنوان (صورة العرب في الصحافة البريطانية)، توصل فيها إلى أن تغطية الصحف البريطانية للأحداث الرئيسة في الشرق الأوسط تعكس النسق القيمي الاستعلائي الإنجليزي، وأن الصحف البريطانية، وهي تعكس استمرارية الروح الاستشراقية وتنقل الصورة التي وضعها المستشرقون، إنما وزنت تلك الأحداث بميزان المصالح البريطانية. وعكست الصحف البريطانية، وبالرغم من أنها ذات مواقف مختلفة في التحرير ولها قراء مختلفون، تحيزاً ثقافياً واستعلاءً عرقياً في نشر أحداث الوطن العربي. ويشير ساري إلى أن بعض الصحف البريطانية تحيز لصالح إسرائيل حين تناول الصراع العربي الإسرائيلي؛ فمثلاً يصور الزعماء الإسرائيليين بوصفهم زعماء منطقيين وساسة ناجحين؛ بينما الزعماء العرب متعصبون وغير راغبين في السلام، كما تصور إسرائيل بوصفها دولة صغيرة بأسلة، تقاتل من أجل بقائها، وهي دولة غربية الطراز وديمقراطية وسط محيط عربي استبدادي ومتخلف، يسعى نحو تدمير إسرائيل.

ولعله من المناسب أن نختم هذا الاستعراض الموجز للدراسات التي تناولت صورة الصراع العربي الإسرائيلي بدراسة مطولة وحديثة تتسم بقدر من الموضوعية أعدها باحث إسرائيلي (بودية، ٢٠٠٦) حول الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية من عام ١٩٤٨ إلى ٢٠٠٠م، وقد أظهرت الدراسة أن هناك دوراً سلبياً كبيراً لمناهج ومضامين التعليم العبرية في إذكاء وتكريس حالة العداء والصراع مع العرب منذ بدايته، وقد أسهمت تلك الرؤية المنحرفة في منع السلام مع العرب. وقال

الباحث اليهودي إيلي بوديه أن المشهد الذي تراءى له من خلال مراجعة كتب التاريخ والكتب المدرسية طيلة نصف قرن (١٩٤٨ - ٢٠٠٠) لا يبعث على السرور. وعلل الباحث ذلك بكون أن الصور السلبية ونطاق التضليل حيال العرب مثلت رؤية طاغية في كتب التدريس الإسرائيلية التي وصفها بـ(المنحرفة).

ويميز بوديه بين ثلاث مراحل في قضية تقييم جهاز التعليم حيال الصراع: الأولى مرحلة الطفولة (١٩٢٠ - ١٩٦٧)، الثانية مرحلة المراهقة (١٩٦٧ حتى منتصف ثمانينات القرن العشرين)، والثالثة مرحلة البلوغ (منذ منتصف الثمانينات حتى العام ٢٠٠٠)، وهو العام الذي أعقبته تغييرات سياسية عميقة انعكست سلبيًا على مضامين المناهج وأولوياتها بشكل كبير يستوجب مزيدًا من الدرس والمتابعة.

وأشار إلى أن الكتب الإسرائيلية لاسيما في الفترتين الأوليتين انشغلت بتعميق القيم الصهيونية ورعاية الأساطير والتمجيد بأبطالها ضمن صهر المهاجرين في بوتقة وذاكرة جماعية واحدة. ولفت إلى أن تلك الكتب وصفت للصراع بطريقة تبسيطة أحادية الأبعاد ومشبعة بعدم الدقة إلى حد التشويه. وأوضح الباحث أن هذه الكتب سعت لشيطة العرب وتجريدهم من إنسانيتهم؛ ما أدى إلى ترسيخ صورة نمطية لدى الإسرائيليين الذين ظهروا دائما بصورة الغربيين المتحضرين صانعي السلام مقابل صورة العرب (الخونة العدوانيين المتخلفين والمجرمين والحافظين القذرين والمبادرين دوما نحو التدمير).

وأشار بوديه إلى أنه رغم زيارة الرئيس المصري الراحل أنور السادات - بل بسببها - دعا بعض المسؤولين وعملوا من أجل تعميق القيم الصهيونية على حساب ثقافة السلام. واقتبس من كلام لوزير التعليم السابق زبولون هامر قوله إن (السلام مع العرب يهدد إسرائيل المهزوزة ويستلزم تحصين الناشئة بتقوية الوعي الصهيوني). وأضاف الباحث أن الإسرائيليين كانوا يعرفون عن الاسكندنافيين أكثر مما يعرفونه عن جيرانهم العرب، وهو ما أسهم في تعقيد الصراع، كما ساعد في خلق أرضية بررت استخدام القوة ضد العرب. ونوه إلى أن ١.٤% فقط من الوقت المحدد للتاريخ في المدرسة الإسرائيلية قد خصص للتاريخ العربي، لافتا إلى موافقته على رأي باحثين أجنبان بأن اليهود نقلوا صورة الأغيار من الشتات إلى إسرائيل وسلطوها على العرب بشكل خاطئ. ونوه الكاتب إلى أن إسرائيل أفرطت في استخدام تدريس

التاريخ لتشكيل ذاكرة الأمة الجمعية ودعمها، وأضاف أنه تمت تعبئة جهاز التعليم وشحنه بمهمة تحديد المعلومات التي يجب على التلميذ أن يتذكرها.

وفيما يتصل بالصور النمطية، أشار الباحث إلى تحسن ملحوظ طرأ على كتب التاريخ التعليمية كنتيجة لإرهاصات حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ واتفاقية السلام مع مصر وازدياد ثقة إسرائيل بذاتها وبأمنها وانفتاحها، إضافة إلى رواج توجهات أكثر ليبرالية في أوساط الأكاديميين والمثقفين. ومع ذلك فقد شدد على أن التغييرات الإيجابية ظلت تنطوي على تصريحات متحاملة وأوصاف نمطية وانحياز، وإن كانت بحلة أكثر تهديبا. وأضاف أن (الرسائل السلبية الضمنية على أية حال قد تكون أخطر من الرسائل العلنية، إلى جانب استمرار محاولات إسكات الماضي وتصويره بانتقائية كبيرة). وكان مؤلف مقدمة الكتاب الناقد أنطوان شلحت محرر الشؤون الإسرائيلية أشار إلى أن السنوات التي تلت العام ٢٠٠٠ قد شهدت انكفاء في التطور الإيجابي وصعودا يمينيا متطرفا إلى رأس هرم جهاز التعليم في إسرائيل، بعد تسلم ليمور لفنات من حزب الليكود حقيبة التعليم.

وينبه الباحث إلى أن مضامين كتب التاريخ المعمول بها في إسرائيل، رغم التغييرات، تشكل برهانا آخر بأن الصراع حول الرواية التاريخية داخل المجتمع الإسرائيلي لم ينته بعد. واقتبس الباحث آراء باحثين تربويين بارزين أكدوا الدور البارز لكتب تعليم الإسرائيليين في تصعيد الصراع وإعاقة أي تغير جذري في وجهة نظرهم عن العرب. وأشار بوديه إلى أن تصحيح الأخطاء غير كاف، منوها إلى أهمية توسيع دراسة تاريخ العرب وثقافتهم ولغتهم بدقة وموضوعية.

مقدمة وصفية حول الكتاب المحلل:

سوف يخصص هذا الجزء لتقديم وصف شامل ومختصر للكتاب المحلل. وهذه النبذة الوصفية تتعلق بالمعلومات الأولية عن الكتاب، والجوانب الشكلية والفنية له، وأخيرا تقديم وصف وتصنيف للموضوع العام للكتاب. وفيما يتصل بالمعلومات الأولية والجوانب الشكلية والفنية والموضوعية للكتاب المحلل، فإنها سوف تعرضها كما يلي:

١ - عنوان الكتاب: The Arab- Israeli Conflict، وهو ما يمكن ترجمته بـ (الصراع العربي

الإسرائيلي).

٢ - المؤلف: Tony McAleavy.

٣ - الناشر: Cambridge University Press.

٤ - سنة النشر: ٢٠٠٣م.

٥ - المرحلة الدراسية للكتاب: المرحلة الأساسية الرابعة Key Stage 4، والتي تبدأ بحسب

النظام التعليمي البريطاني من سن ١٤ إلى ١٦.

٦ - السنة الدراسية التي ألفها لها الكتاب: ١٠ - ١١.

٧ - عدد فصول (أو وحدات) الكتاب: ١٦.

٨ - عدد صفحات الكتاب: ٦٤.

٩ - الموضوع العام للكتاب: الصراع العربي - الإسرائيلي.

ينقسم الكتاب إلى قسمين، الأول منهما عنوانه (نشوء الدولة اليهودية)، ويتضمن ثمان وحدات تتناول خلفية تاريخية لليهود تذكر أن لهم دورًا كبيرًا في تاريخ فلسطين منذ قرون عديدة بل وحتى قبل ميلاد المسيح، كما أن فلسطين أرض لليهود بمقتضى وعد إلهي، حيث ينص المؤلف أن الكتاب المقدس يشير إلى أن الرب اختار اليهود بوصفهم شعبه المختار وأعطاهم أرض إسرائيل. ثم يعرض هذا القسم الاضطهاد الذي مر به اليهود من العصر القديم إلى العصر الحاضر، يلي ذلك حديث عن صعود الحركة الصهيونية، ومذابح الهولوكوست في العهد النازي في ألمانيا وعلاقة كل ذلك بتأسيس دولة إسرائيل. ويتحدث الكتاب بعد ذلك عن الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل وأسباب نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، مرورًا بأزمة قناة السويس وغزو إسرائيل لسيناء وتدخل القوات البريطانية والفرنسية بجانب إسرائيل.

أما القسم الثاني من الكتاب فعنوانه (الصراع العربي - الإسرائيلي منذ عام ١٩٦٧)، ويتضمن ثمان وحدات، تبدأ بالحديث عن حرب الأيام الستة، وكيف أن القوات الإسرائيلية أذلت الدول العربية المجاورة لها واحتلت أراض واسعة من مصر والأردن وسوريا، كما أن كثيرًا من الفلسطينيين أصبحوا تحت حكم إسرائيل. ويشير الكتاب إلى أثر تصرفات جمال عبد الناصر وتهديداته ضد إسرائيل في قيام الحرب.

ثم ينتقل الكتاب للحديث عن حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ التي فاجأت الحكومة والشعب في إسرائيل، وما تلا تلك الحرب من عروض للسلام تقدم بها السادات من أجل استعادة سيناء وإعادة فتح قناة السويس. يعقب ذلك حديث عن نشأة منظمة التحرير الفلسطينية، وانتقالها بين بعض الدول العربية مثل الأردن ولبنان، ومدى التغيير في سياساتها. يلي ذلك عرض لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل وزيارة السادات للقدس، ثم غزو إسرائيل للبنان عام ١٩٨٢. ثم يعرض المؤلف الانقسامات السياسية في المجتمع الإسرائيلي الصغير في سكانه تجاه الأسلوب المناسب لإدارة الدولة بين عدد من الأحزاب السياسية، ويشير بعد ذلك إلى علاقة إسرائيل مع القوى العظمى في العالم وخاصة أمريكا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. ويتحدث الكتاب في النهاية عن اتفاقية السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين عام ١٩٩٣ وما تلاها من أحداث، ويشير الكتاب إلى انبثاق الانتفاضة الفلسطينية ونتائجها المتمثلة في خلق حالة من التعاطف العالمي مع الفلسطينيين؛ مما حدا بالداعم الأكبر لإسرائيل: أمريكا للضغط عليها لتسوية النزاع مع الفلسطينيين.

نتائج الدراسة ومناقشتها وتحليلها:

مكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي في الكتاب:

من أجل بناء رؤية تحليلية متماسكة وشاملة لنتائج الدراسة، فإن مناقشتها وتحليلها سوف تكون متمحورة على إجابة السؤال المركزي للدراسة، وهو: ما أهم مكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي في كتاب (الصراع العربي الإسرائيلي (The Arab-Israeli Conflict)) في المنهج الدراسي البريطاني؟ مع الأخذ في الاعتبار أثناء عملية التحليل ما يتضمنه هذا السؤال الكبير من أسئلة فرعية تتعلق بالقيم والأفكار والاتجاهات المبتوثة في ثنايا الكتاب، وتحليل الدلالات السياسية والتاريخية والحضارية للصراع العربي الإسرائيلي التي يوحى بها الكتاب، وفحص مدى ارتباط مفاهيم الكتاب وصوره الذهنية بالمعطيات الواقعية التاريخية والسياسية للصراع العربي الإسرائيلي؛ حيث لا يمكن الفصل بين هذه الأسئلة فصلاً كاملاً باعتبارها مندرجة بالضرورة تحت السؤال المركزي السابق. كما أن معالجة هذه الأسئلة الفرعية تحت مظلة السؤال المركزي للدراسة بوصفها كلاً واحداً سيمنح القارئ والمحلل معاً مجالاً أوسع لرؤية تكاملية وبنوية لمكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي للكتاب في إطاره الشامل.

ولأغراض منهجية وتنظيمية، فإن عرض نتائج الدراسة وتحليلها سيكون وفقاً لبعدين/ محورين انتهت إليهما إجراءات وعمليات التحليل النوعي الاستقرائي وفقاً لمنهجية تحليل الخطاب. وهذان البعدان هما: البعد القومي، والبعد الحضاري، ويندرج تحت كل بعد ثلاثة مكونات رئيسية، مع التركيز على الموضوعات الرئيسية themes التي انتظمت الكتاب؛ إذ تكاد تشكل هذه الموضوعات معظم ما يمكن أن يسمى بـ(مكونات الهيكل المفاهيمي والقيمي) الذي أنتجه الخطاب اللغوي - التربوي بكافة تجلياته المختلفة.

لقد أظهر توظيف منهجية تحليل الخطاب في الدراسة أن من أهم مكونات الجهاز المفاهيمي للخطاب اللغوي - التربوي في الكتاب المحلل ما يلي:

أولاً - البعد القومي:**١ - تصوير فلسطين بوصفها أرضاً لليهود في الأصل:**

من أهم الأفكار المركزية التي تنتظم الكتاب تصوير فلسطين بأنها أرض لليهود منذ فجر التاريخ، أما العرب والمسلمون فهو طارئون عليها وقد دخلوها في صورة غزاة. ويحاول الكتاب أن يوحى إلى قارئه من تلاميذ ناشئين وغيرهم إلى أن العلاقة بين اليهود وفلسطين مستمرة وطويلة وقديمة حتى يبدوان وكأنهما متلازمان أو وجهان لعملة واحدة، وهذه الرسالة مبثوثة في الكتاب بشكل واضح بدءاً من العناوين وجهاً لعملة واحدة، وهذه الرسالة مبثوثة في الكتاب بشكل واضح بدءاً من العناوين وانتهاءً بالنصوص والفقرات ذاتها. ولعل من الأمثلة على ذلك عنوان الوحدة الثانية ص ٨، وهو (فلسطين واليهود: من عصر الكتاب المقدس إلى العصر الحديث Palestine and the Jews- from biblical to modern times)، وتلح هذه الوحدة على التأكيد على الحق التاريخي لليهود في فلسطين وأنهم لعبوا دوراً مهماً في تاريخ فلسطين لقرون طويلة حتى قبل ميلاد المسيح؛ بل إنهم بلغوا قمة الجهد والقوة تحت عهد الملكين داود وسليمان (وهنا إشارة إلى مدى عراقية وقدم الوجود اليهودي في فلسطين وحكمه لها حتى إنه سابق للميلاد نفسه بقرون طويلة). يقول المؤلف في ص ٨ ما يلي:

"The Jewish People played an important part in the history of Palestine for many centuries before the birth of Christ... Under the kings David and Solomon, the Jews reached a peak of power in the 10th century before Christ".

وفي خضم هذا الإلحاح في التأكيد على قدم اليهود في فلسطين منذ ما قبل الميلاد مما يعزز فكرة أن ما يفعله اليهود اليوم في فلسطين لا يتجاوز كونه استعادة لحق طبيعي لهم تسنده الوقائع والأحداث التاريخية القديمة قدم التاريخ نفسه، أقول في خضم كل ذلك وفي موازاته يعنى الكتاب في تهميش الوجود العربي والإسلامي في فلسطين، حيث يشير المؤلف إلى أن ذلك الوجود لم يبدأ إلا في القرن السابع الميلادي حين قُتحت (أو غزيت) فلسطين من العرب أتباع النبي محمد الذين أحضروا معهم ديناً جديداً هو الإسلام ولغة جديدة هي العربية. كما أن هذا الغزو العربي قاد إلى إيجاد العرب الفلسطينيين. وفي

أثناء العصور الوسطى أصبح في فلسطين أغلبية مسلمة تتحدث العربية. يقول النص الإنجليزي الأصلي في الكتاب ما يلي:

"In the seventh century, Palestine was conquered by the Arab followers of the Prophet Muhammad. They Brought a new religion- Islam- and a new language- Arabic... The Arab conquest led to the creation of the Arab Palestinian people. During the Middle Ages, Palestine had an Arabic-Speaking Muslim Majority".

وقد يكون الغرض من ذلك تمرير رسالة ضمنية مؤداها أن العرب والمسلمين طارئون على أرض فلسطين حين مقارنتهم باليهود، وخاصة إذا عرفنا أن هذه المعلومة الواردة في الكتاب جاءت مباشرة بعد التأكيد على مدى وعراقة الوجود اليهودي فيها، وكأن المؤلف هنا يعقد - ضمناً - مقارنة بين اليهود والعرب والمسلمين، وأيهما أحق تاريخياً بفلسطين، وبالتالي محاولة إنزال هذه الأحداث التاريخية وتطبيقها على عالم اليوم وتوظيفها سياسياً لتبرير احتلال اليهود لفلسطين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإشارة إلى أن الوجود العربي في فلسطين ناتج عن الفتح أو الغزو العربي - الإسلامي لها يوحى للمتلقي أو القارئ أن فلسطين كانت خالية من الجنس العربي والإسلامي وأنهم لم يسكنوها إلا بعد القرن السابع بعد الميلاد؛ أي أنها ليست بلادهم الأصلية، وإنما هي لليهود الذين عاشوا فيها قبل ميلاد المسيح. بالإضافة إلى ذلك، فإن وصف دخول العرب والمسلمين لفلسطين بأنه (فتح أو غزو) يخلف لدى القارئ انطباعاً سلبياً عن العرب والمسلمين ويشكك في مدى شرعية وجودهم فيها.

٢ - أرض فلسطين بوصفها حقاً إلهياً لليهود:

لا يكتفي الكتاب بتصوير فلسطين على أنها أرض لليهود بمقتضى (الحق التاريخي) وأسبقية وجودهم فيها منذ ما قبل ميلاد المسيح بقرون وبلوغهم أوج قوتهم في القرن العاشر قبل الميلاد كما مر قبل قليل، ولكنه يضيف إلى ذلك أمراً آخر وهو ما يمكن تسميته بـ(الحق الإلهي)؛ أي توظيف الرموز والإشارات والأساطير الدينية في تدعيم الزعم بأحقية اليهود بأرض فلسطين، وكأنها حق وقدر إلهي لا مناص منه بالنسبة لهم، بل ينبغي العمل على تحقيقه تنفيذاً للإرادة الإلهية، وغير خاف ما في هذا الاستثمار الذكي للأساطير الدينية من محاولة لإضفاء هالة من القداسة والطهر على المزاعم اليهودية في

فلسطين وترسيخها في الوعي الغربي (وخاصة الناشئة) بوصفها حتمية دينية مقدسة لا يجوز حتى مناقشتها.

ومن الأمثلة على ذلك أن المؤلف يضع عنواناً ص ٨ بخط عريض ولون مختلف عن بقية العناوين والنصوص الأخرى يقول فيه صراحةً عند الحديث عن علاقة اليهود بفلسطين (أرض المنحة الإلهية A God-given land?). ثم يأتي تحت هذا العنوان ما يشير إلى أن تاريخ اليهود في فلسطين والروايات الإسرائيلية حول تلك الفترات التاريخية قد أخبر عنها في الكتاب المقدس. وهذه الرواية اليهودية تصف كيف أن الله اصطفى اليهود بوصفهم شعبه المختار ومنحهم أرض إسرائيل. يقول النص الإنجليزي في الكتاب ص ٨ ما يلي:

"The Jewish version of this period is told in the Bible. It describes how God chose the Jews as his special people and gave them the land of Israel."

وهنا محاولة لتمرير رسالة ضمنية لتحويل الروايات اليهودية حول فلسطين من مجرد كونها مزاعم وروايات تاريخية تقبل الجدل والمناقشة، وربما الدحض إلى مسلمة دينية تجد أساسها المقدس واليقيني في الكتاب المقدس. أضف إلى ذلك أن النص (ومرجعية دينية) على أن الله تعالى قد اصطفى اليهود بوصفهم شعبه المختار يتضمن مسكوتاً عنه وهو الإيحاء بدونية الأجناس الأخرى، وهم العرب والمسلمون في السياق العام للكتاب الذي يتناول قضية الصراع العربي - الإسرائيلي.

٣ - التعاطف مع اليهود والمبالغة في تصوير اضطهادهم على مر

العصور:

يتجاوز الكتاب حدود المعقولة والمقبولة في إظهار التعاطف مع اليهود من خلال المبالغة في تتبع التاريخي الصارم لكل ما تعرض له اليهود من مظالم، حتى ليبدو تاريخهم للقارئ الخالي الذهن وكأنه مسلسل طويل لا نهاية له من الاضطهاد والتشرد والعذابات؛ بل إن الكتاب يقدم ما يصفه بـ(اضطهاد اليهود) بوصفه شيئاً أسطورياً خرافياً عابراً للزمان وللمكان كمحدد للوجود الإنساني. والدليل على ذلك أن المؤلف يستعرض بشكل مسهب اضطهادهم زمانياً بدءاً من العصور الرومانية، وانتهاءً بالوقت الحاضر وعبر العالم كله مكانياً، ومن مختلف الأجناس والإمبراطوريات. ويوظف الكتاب عددًا من

الآليات والوسائل اللفظية (سواء في العناوين أو متن الفقرات) وغير اللفظية من صور ورسوم، من ذلك مثلاً جاء في ص ٩، العنوان التالي في سياق الحديث عن اليهود (الشعب المضطهد A persecuted people)، وتحت هذا العنوان يقرر الكتاب أنه ومنذ العصور الرومانية كان اليهود منتشرين ومبعثرين حول العالم. وخلال العصور الوسطى، كان التركز اليهودي الأكبر في أوروبا الغربية، وقد هوجم اليهود مراراً من السكان النصارى المحليين، حيث طوردوا من إنجلترا عام ١٢٩٠م، ومن فرنسا ١٣٩٤، ومن أسبانيا ١٤٩٢م. يقول النص الإنجليزي في الكتاب ص ٩ ما يلي:

"Since Roman times, the Jewish people have been scattered all over the world. During the middle Ages, the greatest concentration of Jewish people was in western Europe. The European Jews were repeatedly attacked by local Christians. Jews were expelled from England in 1290, from France in 1394, and from Spain in 1492."

وفيما يتصل باستخدام الرسوم والنقوش في تعزيز فكرة اضطهاد اليهود على مر التاريخ، تحتل رسمة ملونة ومخرجة بشكل جذاب قرابة منتصف صفحة كاملة (ص ٨) تصور تحطيم الرومان لمعبد يهودي عام ٧٠م، حيث كتب عليها الجملة التالية:

This 17th – century Painting shows the destruction by the Romans of the Jewish temple in AD 70.

والشيء نفسه يتكرر ص ٩، حيث يوجد نقش يعود إلى القرن التاسع عشر المذابح التي تعرض لها اليهود في العصور الوسطى في ستراسبورغ. وقد علق على هذا النقش بالجملة التالية:

This 19th – century engraving shows a medieval massacre of Jews in Strasbourg.

ولا يفوت المؤلف أن يتحدث باستفاضة كبيرة عن مذابح الهولوكوست التي تعرض لها اليهود على يد النازية في ألمانيا، حيث يفرد الكتاب أربع صفحات كاملة من ١٥ إلى ١٨ للحديث عنها، وتصوير مدى هولها وبشاعتها راصداً استجابات قادة الصهيونية وبريطانيا وأمريكا لها.

ويوغل الكتاب في بناء صورة مأساوية لما لاقاه اليهود في ألمانيا الهتلرية، فهم قد اضطهدوا في أساليب كثيرة حيث حرموا من الجنسية الألمانية، ومنعوا من الزواج من غير اليهود، وخلال ليلة واحدة في

شهر نوفمبر عام ١٩٣٨م حطمت كافة المعابد اليهودية في ألمانيا كلها. ومع نشوب الحرب العالمية عام ١٩٣٩م طوق الجيش الألماني قرى يهودية وقتل سكانها، كما قرر النازيون عام ١٩٤٢م قتل اليهود في ألمانيا والأراضي التي احتلتها ألمانيا. وسيق اليهود إلى مخيمات الإبادة لقتلهم. وعند نهاية الحرب عام ١٩٤٥م وصل القتلى اليهود حوالي ستة ملايين، وتم تحطيم مجتمعات يهودية كبيرة في وسط أوروبا وغربها. ما سبق كان عرضًا مختصرًا لبعض الأفكار والفقرات التي تضمنها الكتاب ص١٦، ومن نصوصها الإنجليزية ما يلي:

"After Hitler came to power in 1938, Jews in Germany were discriminated against in many ways. They were deprived of German citizenship and not allowed to marry non-Jews. During one night in November 1938, synagogues were destroyed all over the country... the Jews of many villages were rounded up and shot. ... leading Nazis met together and decided to kill the Jewish population of Germany and German - occupied territory. Jews were taken to extermination camps to be murdered. By the end of the war in 1945, about six million Jews had been murdered and the large Jewish communities of central and eastern Europe had been destroyed."

ومع الاعتذار عن هذه النقولات الطويلة إلا أنها ضرورية لبيان مدى التعاطف الكبير الذي يفيض به الكتاب مع اليهود. ولعل الدليل على ذلك أن المؤلف لا يسلك الأسلوب نفسه مع المذابح والجرائم البشعة التي قامات بها العصابات الصهيونية ضد الفلسطينيين، وهي هولوكوست أخرى يرتكبها اليهود. كما أن هذه المذابح التي اقترفها اليهود ضد الفلسطينيين لا تقدم بذات العرض العاطفي المؤثر الذي قدم من خلاله اضطهاد اليهود، وقد يكون هذا جزءًا من التهميش والدونية التي يعرض بواسطتها التاريخ والقضية العربية والإسلامية في هذا الكتاب، وهو ما سوف يكون مدار الحديث في الفقرة القادمة.

ثانياً – البعد الحضاري:

١ – هامشية العرب والمسلمين في مقابل مركزية اليهود:

التحليل الدقيق للأفكار والمفاهيم ومستويات الخطاب التي تنتظم الكتاب يشي بما يكشف عن هامشية العرب والمسلمين تاريخياً وحضارة وقضية وذلك في مقابل مركزية اليهود وتفوقهم في عراقة التاريخ وعدالة قضيتهم وأحقيتهم بفلسطين. وإذا ما حاولنا أن نتجاوز (ظاهر النص) إلى (ما لم يقله النص)؛ أي إذا واصلنا الحفر المعرفي للبنى العميقة للخطاب المتضمن في النصوص المشكلة للكتاب فإنه يمكن أن ننتهي إلى الظواهر الدلالية التالية:

أ – تقدم نصوص الكتاب عرضاً تاريخياً مفصلاً لليهود في العالم بشكل عام وفي فلسطين على وجه أخص، حيث تخصص الوحدة الثانية كلها للحديث عن تاريخ اليهود فيها وأنهم سكنوها وبنوا فيها مملكة قوية منذ قرون طويلة قبل ميلاد المسيح، وربما يعزز هذا التخصص والاهتمام مفهوم (التميز التاريخي) لليهود. وتخصص الوحدة الثالثة للتفصيل في صعود الحركة الصهيونية بوصفها أيدلوجيا سياسية ناجحة، ولعل في ذلك رسالة ضمنية تبين مفهوم (التميز السياسي) لليهود أيضاً. أما العرب والمسلمون وتاريخهم وحضارتهم فتسكت النصوص عنها سكوناً مطبقاً، وكأنهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً، رغم ما يملكونه من تاريخ عريق وحضارة أصيلة. وبما أن الكتاب يبحث في قضية الصراع العربي – الإسرائيلي فإن الموضوعية والإنصاف يقتضيان أن يعالج الكتاب القضايا التاريخية والحضارية المتعلقة بكل طرف بشكل متوازن لا أن يميز طرف على حساب.

ب – التركيز على الخصوصية الدينية لارتباط اليهود بأرض فلسطين، وبأنهم جنس فوق بقية الأجناس البشرية الأخرى فهم (شعب الله المختار) الذين اختارهم الله ومنحهم أرض إسرائيل.

ج – الإيحاء بتفوق العقلية السياسية اليهودية وقدرتها على تأسيس الصهيونية التي استطاعت أن تجمع شتات اليهود وتقيم دولة إسرائيل محققةً بذلك حلم اليهوديين في العودة إلى فلسطين. ومما يؤيد ذلك أن الكتاب ينقل ص ١٥ أن كثيراً من القادة الإسرائيليين يرون أن السبب الوحيد لتأسيس دولة إسرائيل هو صعود الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر وليس الاعتداءات النازية على اليهود. ويتصل بذلك ما يشير إليه المؤلف ص ١٨ و ١٩ من قدرة اليهود على استثمار الهولوكوست في صياغة الرأي العام الغربي في بريطانيا وأمريكا بحيث أصبح مؤيداً لإسرائيل.

د - تصوير إسرائيل بوصفها دولة صغيرة محاطة بعدد من أعدائها المجاورين لها من العرب والمسلمين، ومع ذلك فقد انتصرت عليهم وأدلتهم في حروبها معهم؛ بل إن ثلاث دول عربية (مصر والأردن وسوريا) قد خسرت أراض كبيرة في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ بما فيها البقية الباقية من أرض فلسطين. أما حرب ١٩٧٣، فبالرغم من أن إسرائيل هوجمت على حين غرة حيث كانوا يحتفلون بيوم العبور ومعظم القطاعات العسكرية والحربية كانت غير مستعدة - إلا أن إسرائيل تمكنت من الانتصار في النهاية وكانت عازمة على مواصلة الحرب لولا الضغط الأمريكي المكثف عليها لوقفها ص ٣٤ و ٣٥.

٢ - تسطيح القضايا الرئيسية في الصراع العربي - الإسرائيلي:

يقدم الكتاب أحياناً تناولاً مبالغاً في الموضوعية عند عرضه لبعض القضايا المركزية في الصراع بين الطرفين، وربما يؤدي هذا التسطيح في التناول إلى تمييع القضية الأساس؛ مما ينتج عنه إبطال رسائل ليست غير دقيقة فقط؛ بل إنها مضللة للقارئ تخدم الطرف اليهودي. صحيح أن المؤلف يعرض وجهة نظر الطرفين: العربي والإسرائيلي في الأعم الأغلب وهو ما يجب أن نقره بكل صدق وأمانة؛ لكن الإشكالية تتبع من الأسلوب والكيفية التي تقدم بها حجج كل طرف، فعلى سبيل المثال تكون الحجج الداعمة لوجهة النظر الإسرائيلية أكثر من تلك الداعمة لوجهة النظر العربية. هذا أولاً، وثانياً أن بعض المصادر التي تستقي منها الحجج ذات مرجعيات علمية وأكاديمية (أستاذ للتاريخ في جامعة أكسفورد) ص ٥٥، أو قادة ومفكرين صهيونيين لامعين بالنسبة لأي يهودي (هرتزل) ص ١١، أو زعماء سياسيين ناجحين (جولدا مائير وإسحاق شامير) ص ٢٥. ولاشك أن مثل هذه المرجعيات المتنوعة ذات الوزن الثقيل لا تؤثر فقط على طبيعة الحجة المقدمة وتماسكها وقوتها فقط، وإنما تمتد لتؤثر بشكل كبير في نفسيات المتلقين لها؛ مما يمنحها مصداقية أكبر لديهم كونها صادرة من أساتذة وباحثين أو قادة ومفكرين أو زعماء سياسيين، وهنا مكن الخطر. أما مصادر الحجج الفلسطينية فهي لا تعدو أن تكون صحيفة مغمورة في أحد مخيمات اللاجئين، أو شخصية فلسطينية حاملة الذكر، أو راديو إحدى الدول العربية الفقيرة ص ٢٣ و ٢٢، وبالتالي فإن تأثير هذه الحجج في أذهان المتلقين لها ومدى اقتناعهم بها قد يكون ضعيفاً؛ لأن مثل تلك المصادر تفتقد الجاذبية، وربما المشروعية للحديث، والقدرة على التأثير والإقناع.

ومن الأمثلة على تسطيح القضايا الجوهرية في الصراع العربي - الإسرائيلي وتمييعها أن الكتاب يعرض لقضية اللاجئين الفلسطينيين مفرغة من بعدها الإنساني ومجردة من كل ما بها من فظاعة، مع أنه لم يفعل الشيء نفسه عندما تناول ما مر به اليهود من محن وتهجير. كما أنه يقدم هذه القضية الإنسانية الكبيرة بأسلوب يخفف كثيراً من حدتها، حيث يوحي بأنها قضية تعدد فيها الآراء ولها أسباب كثيرة،

ويسهب في عرض مقولات متعددة تثبت أن القادة الصهيونيين الأوائل لم يقصدوا تهجير الفلسطينيين وأنهم يؤمنون بإمكانية التعايش معهم ص ٢١. ويورد المؤلف ص ٢٥ عرضاً مكثفاً لوجهة نظر المسؤولين الحكوميين الإسرائيليين حيال مشكلة اللاجئين من حيث إنها مشكلة عربية، فإسرائيل لم تخلقها وإنما العرب هم الذين بدءوا الحرب ورفضوا قرار التقسيم. كما أن إسرائيل استقبلت ٦٠٠ ألف يهودي عربي من العراق والمغرب بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٢، وبالتالي فإنه يمكن للعرب أن يفعلوا الشيء نفسه مع اللاجئين الفلسطينيين. أضف إلى ذلك أن القادة العرب يتعمدون عدم حل هذه المشكلة لاستخدامها في الدعاية السياسية ضد إسرائيل، والثروة النفطية العربية قادرة على حلها منذ زمن طويل.

والحق أن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لا تحتاج إلى كل هذا الجدل الطويل من الكتاب، فهي ناتجة بالدرجة الأولى عن مذابح دير ياسين وعصابات الهاجانا، كما أشار إلى ذلك المؤلف ولكن من طرف خفي وبإخراج متواضع وخط صغير جداً، وذلك بخلاف إخراج لوجهة نظر المسؤولين الإسرائيليين السابقة، والتي كانت بعنوان كبير وعلى شكل نقاط مركزة وبخط بارز.

٣ - التحيز في الاستخدام اللغوي والتناول النقدي:

تختفي الموضوعية من الكتاب في الاستخدام اللغوي والعرض النقدي للمفاهيم والقضايا التي تعالجها النصوص، ويمكن توضيح هذه الفكرة في النقاط التالية:

أ - يكثر استخدام الأفعال السلبية في السياق اللغوي الخاص بالعرب مثل: هزموا، دمروا، أذلوا، احتلوا، رفضوا، تجاهلوا... أما السياق اللغوي الخاص باليهود فهو يندرج تحت المعجم الدلالي الإيجابي والإنتاجي، مثل انتصروا، بنوا، أسسوا، استقبلوا، أنشأوا، نظموا، نشطوا، سيطروا، بالإضافة إلى صفات التعدد والتنوع التي يوصفون بها.

ب - تغيب النبرة النقدية عندما يتعلق الأمر بالحديث عن إسرائيل واليهود وما يرتكبونه في حق الفلسطينيين منذ عقود، حيث يكتفي الكتاب بالعرض السردى الوصفي العام دون أي انتقاد أو لوم.

ج - التأييد المباشر وغير المباشر لإقامة دولة إسرائيل وتأسيس المشروع التاريخية والدينية لها، مع الإهمال الكامل للمسألة الفلسطينية وعدم الإشارة إلى شرعيتها وبداية معاناتها. وعندما جاء على ذكر وعد بلفور لم يذكر له أي علاقة بالمشكلة الفلسطينية، وإنما عرضه من خلال اليهود والمصالح البريطانية، حينما نجح اليهودي وايزمان في إقناع بلفور بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، حيث أقنع بلفور مجلس الوزراء البريطاني بهذه الفكرة التي سوف تساعدها في كسب الحرب العالمية الأولى وتسحب أمريكا للوقوف معها ص ١٢.

د - محاولة الربط بين المسيحية واليهودية؛ مما يوحي بأن اليهود قريبون للمسيحيين وهم مستحقون للدعم بناءً على ذلك، حيث ينص الكتاب ص ٨ على أن النبي عيسى عليه السلام والذي توفي عام ٢٩م كان يهوديًا كما كان أتباعه الأوائل كذلك.

توصيات الدراسة:

بناءً على نتائج هذه الدراسة، يمكن تلخيص أهم التوصيات التي انتهت إليها الدراسة علي النحو التالي :

١ - ضرورة تفعيل نتائج هذه الدراسة ، وذلك من خلال بناء خطة استراتيجية جادة لتغيير الصور النمطية حول مسائل وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي، بحيث تعمل على مسارين متوازيين: مسار قصير المدى، ومسار طويل المدى، والإفادة من بعض المناخات الإيجابية في المجتمع البريطاني، وخاصة مجال الحريات، والحقوق المدنية، والانخراط في الفعاليات الاجتماعية والتربوية والسياسية.

٢ - العمل على تحسين الصورة الداخلية والواقعية للعرب والمسلمين، وتحديدًا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي؛ لأن صورتنا لدى الغرب انعكاس في بعض جوانبها لواقع العرب والمسلمين المؤسف، والذي ينطوي على بعض المظاهر السلبية، مثل الاستبداد السياسي، التنازع والتشردم، الفساد، غياب حقوق الإنسان، قمع الرأي الآخر، كما يشير إلى ذلك بن سعيد (٢٠٠٠).

٣ - أهمية توظيف (استراتيجية نقد الذات) ومراجعتها واكتشاف مكامن الضعف والقصور في المشروع النهضوي العربي، واستيعاب الدروس المستفادة من الإخفاقات التي مرت بها التجربة العربية والإسلامية المعاصرة، بحيث يتم بناء مشروع عربي جديد وطموح في كافة مستوياته الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ مما يساعد على إنتاج صورة زاهية للعرب، وخاصة فيما يتصل بالتعامل مع قضيتهم الكبرى، فلسطين.

٤ - الاتصال بالناشرين البريطانيين لتوضيح وجهات النظر العربية والإسلامية في الجوانب السلبية التي تضمنتها كتاب (الصراع العربي الإسرائيلي The Arab- Israeli Conflict) في المنهج البريطاني. وذلك من أجل توفير المعلومات والبيانات التي تعكس الواقع الصحيح تاريخيًا وسياسيًا لخلفيات هذا الصراع.

٥ - التنسيق مع الجالية العربية والإسلامية في بريطانيا لبذل الجهود العملية والمناسبة لتعديل وجهات النظر المتحيزة، والصور النمطية حول قضايا الصراع العربي الإسرائيلي، وخلق مجالات متعددة ومسارات متنوعة للحركة والنشاط المؤثر في القنوات التربوية والإعلامية.

- ٦ - تزويد مراكز البحث التربوية والثقافية في بريطانيا بنسخ من هذه الدراسة وغيرها، وفتح فرص للحوار الهادئ والبناء الذي يقوم على الحقائق والأرقام والمعطيات التاريخية والسياسية الموثقة.
- ٧ - إجراءات دراسات أخرى من خلال توظيف منهجية تحليل الخطاب على كتب دراسية بريطانية أخرى تنتمي إلى علوم متنوعة مثل كتب العلوم اللغوية والاجتماعية والدينية؛ لتتبع مكونات الجهاز المفاهيمي وصورة العرب والمسلمين فيها، وفحص كيفية تناول الصراع العربي الإسرائيلي بامتداداته وتنوعاته المختلفة.
- ٨ - إجراء دراسات تهدف إلى تتبع مصادر تشكيل صورة العرب والمسلمين وقضاياهم الرئيسة، وعلى الأخص القضية الفلسطينية في المناهج الدراسية البريطانية.
- ٩ - إجراء مزيد من الدراسات التحليلية لصورة العرب والمسلمين بعامة وقضية الصراع العربي الإسرائيلي بخاصة في بلدان غربية أخرى؛ لمعرفة مدى اتفاق أو اختلاف الصورة في مناهج تلك الدول، ومحاولة المقارنة بينها.

المراجع

أولاً - المراجع العربية:

أبو زيد، فاروق (١٩٩٧). دور الإعلام في التقارب الثقافي والحضاري في الشراكة الأوروبية المتوسطية، المجلة المصرية لبحوث الاتصال، عدد (١) يناير.

اسبوزيتو، جون (٢٠٠٢). التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة. ترجمة قاسم عبده قاسم. القاهرة: دار الشروق.

بشارة، عزمي (٢٠٠٩). أن تكون عربياً في أيامنا. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

بغورة، الزواوي (٢٠٠١). ميشيل فوكو في الفكر العربي المعاصر. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

بن سعيد، أحمد بن راشد (٢٠٠٠). قولبة الآخر: قصة التشويه الحضاري والاعتقال الإعلامي للمسلم والعربي. عمان: (د. ن).

بودية، إيلي (٢٠٠٦). الصراع العربي الإسرائيلي في كتب التاريخ المدرسية الإسرائيلية ١٩٤٨ - ٢٠٠٠. ترجمة: وليد أبو بكر. فلسطين: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، (مدار).

التعليم من حولنا: تجارب من دول العالم (١٤٢٢). سلسلة كتاب المعرفة (١٢) الرياض: وزارة المعارف.

الجابري، محمد عابد (١٩٨٨). الخطاب العربي المعاصر: دراسة تحليلية نقدية. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

الجابري، محمد عابد (١٩٩٨). تكوين العقل العربي (سلسلة نقد العقل العربي؛ ج ١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

حطب، زهير، تظهير الصورة وتوضيح الذات، الفكر العربي، عدد (٨٤)، ١٩٩٦ م.

حضور، أديب (٢٠٠٢). صورة العرب في الإعلام الغربي. دمشق: المكتبة الإعلامية.

دكير، محمد (٢٠٠٠). الإسلام والغرب: عشر سنوات من المواجهة، المثاقفة، الحوار. الكلمة، العدد (٢٦)، السنة السابعة، شتاء.

الرفاعي، عبد الجبار (٢٠٠٢). نحن والغرب: جدل الصراع والتعايش. بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر.

روبول، أوليفي (٢٠٠٢). لغة التربية: تحليل الخطاب البيداغوجي. ترجمة: عمر أوكان. المغرب: إفريقيا الشرق.

ساري، حلمي (١٩٨٨). صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للشباب والتغير في مجمل الصورة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

سعيد، إدوارد (١٩٨١). الاستشراق. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

سعيد، محمود، وعمار، محمود (١٩٩٦). معايير تحليل الكتب المدرسية في إطار منهج البحث التربوي. الرياض: دار المعراج الدولية للنشر.

السيد، رضوان (٢٠١٠). المسلمون في أوروبا وإمكانيات الخروج من المواجهة. الشرق الأوسط، العدد ١١٥١٨، ١١ يونيو.

الشمعة، خلدون (٢٠٠٣). النزعة المركزية الأوروبية تصنع الآخر.. الإبليلس!، مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، سلسلة كتاب المعرفة (١٢). الرياض: وزارة التربية والتعليم، ٦١ - ٧٨.

العبد الكريم، راشد (٢٠٠٣). الصراع العربي الإسرائيلي في المناهج الأمريكية: كتاب (تأريخ العالم: روابط للحاضر **History of the World: Connections to Today**) نموذجًا. بحث مقدم لندوة بناء المناهج: الأسس والمنطلقات، كلية التربية - جامعة الملك سعود.

العقيلي، عبد المحسن (٢٠٠٤). الخطاب التربوي - التاريخي في كتاب عوالم القرون الوسطى: دراسة تحليلية نقدية. منشور في مركز بحوث كلية التربية - جامعة الملك سعود، رقم الإصدار (٢٣٣).

مارلين، نصر (١٩٩٥). صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

Abu Laban, B. and Faith, Z. (Eds.). (1975). **Arabs in American: Myths and Realities**, AAUG Monograph Series, on 5 (Wilmette, 111.: Medina University Press International).

Al-Qazzaz, A. (1975). **Images of the Arab in American Social Science Textbooks**, in Baha Abu-Laban and Faith T., Zeadey (Eds.),

Arabs in American: Myths and Realities, AAUG Monograph Series, on 5 (Wilmette, HI.: Medina University Press International).

Department for Education and Employment. (1999). The National Curriculum. London: Qualifications and Curriculum Authority.

Hannan, C. (1982). **Image of Islam: history books give an offensive view of Muslims as cruel fanatics.** Times Educational Supplement, 19 November.

Hicks, D. (1981). **Bias in geography textbooks.** London: University of London.

McAleavy, T. (2003). The Arab- Israeli Conflict, UK: **Cambridge University Press.**

Perry, G. (1975). **Treatment of the Middle East in American High School Textbooks.** Journal of Palestine Studies, Vol. 4, No. 3, Spring.

Richards, C. (1998). **Changing primary/elementary school curricula: an analysis of the English experience 1862-2012.** in J., Moyles and L., Hargreaves (Eds.), The primary curriculum learning from independent perspectives. London: Routledge.

Ward, G. (1997). **Postmodernism.** Illinois. Teach Yourself Books.

Zeeman, L.; Poggenpoel, M.; Myburgh, C. & Van Der Linde, N. (2002). **An introduction to a postmodern approach to educational research: discourse analysis.** Education, 123(1), pp. 96-103.